بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة، بعنوان:

ونَغْرِسُ فَيَأْكُلُ مَنْ بَعْدَنَا [١]

فريضةُ الإتقان

في الأعمال والأقوال والأحوال

عنوانُ الإيمان، ومفتاحُ التقدُّم، وسِرُّ النجاح

بقلم الدكتور أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٤ ذو القعدة ١٤٤٦هـ ٢ مايو ٢٠٢٥م

الحمد لله الذي أحكم خلقه، وأتقن صنعه، ودبَّر أمر الكون بحكمته وعنايته ورعايته ورحمته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وهو السميع العليم..

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدَّر فهدى، وأخرج المرعى، وأتقن كلَّ شيء خلقه...

الحمد لله الذي أمرنا بالإحسان والإتقان، وجعل إتقان العمل عبادةً، والسعى إليه شرفًا، وعمارة الأرض والإنسان والحياة رسالةً للإنسان في هذه الحياة...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تزيدنا قربًا وإيمانًا ويقينا بالله جلَّ في عُلاه...

وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغر الميامين، سيد المتقنين، وقائد العاملين بمنهج رب العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصيه الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال (عزَّ وجلَّ): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)..

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها..والله ولي التوفيق.

كما أوصيكم ونفسي بالإحسان والإتقان في كل ما وُكِّل إلينا من أعمال أو أقوال أو مسؤوليات، فإنه لا سعادةَ في الدنيا، ولا فلاحَ في الآخرة إلا بالإخلاص لله، وتقوى الله، والإتقان في كل شيء: العبادات والأخلاقيات، والمعاملات وفي كل شيء في هذه الحياة... أما بعد،،،

أيها المؤمنون:

مدخل:

في البداية أشكر الله (سبحانه وتعالى) على مننه ونعمه وخيراته وبركاته التى لا تعد ولا تُحصى... وعلى أن أقامنا وشرفنا بمقام العلم والدعوة إليه..

وأشكر وزارة الأوقاف المصرية بقيادة معالي أ.د أسامة السيد الأزهري وزير الأوقاف، على اختيار هذا الموضوع المهم؛ ليكون موضوعًا لخطبة الجمعة في شتى أنحاء جمهورية مصر العربية.

وتنبع أهمية هذا الموضوع من جوانب ثلاثة:

الأول: أنه يأتي متوفقا مع احتفالات عيد العمال، الذين يقع عليهم عبء العمل والإبداع والإنجاز والقيام بمصالح البلاد والعباد، والإسهام المباشر في تحقيق التقدم والازدهار.

الثاني: أنه على الرغم من أن كثيرًا من العمال يصبون الاتقان ويسعون إليه، فإن هناك بعض السلبيات لدى البعض تؤثر سلبًا على الأداءات وتستوجب التنويه والتنبيه والعلاج.

الثالث: أن ديننا الإسلامى الحنيف بلغ شأو المعالي في دعوته إلى إتقان الأعمال والأقوال وحتى الأحوال وإحسانها وتجويدها بشكل كامل وشامل ومستدام، وتربية النشء والشباب والأجيال عليها؛ لإيجاد المجتمع المؤمن الذي تتحقق فيها معاني الخير ومعالم والخيرية.

سلبيات فى مواجهة الإتقان والتجويد:

في حياتنا اليومية، نسمع من بعض الناس عددًا من العبارات التى تُعبّر عن التساهل والاستخفاف بالإتقان، والتجويد، مثل: "مِشّى حالك"، "يا عم خلّص"، "مش لازم تدقّق قوي"، "هو حد بيقدَّر؟"، "همّ بيعملولنا إيه؟" وكأن الإتقان ليس فضيلة وفريضة، وكأن التجويد أمسى مضيعة للوقت!

ومن أشهر العبارات التي يطلقها بعض الناس التي تُستخدم لتبرير عدم الإتقان:

- مشّى حالك
- يا عم مش فارقة
- كفاية كده
- كده حلو أوي
- مش لازم كل حاجة تبقى مِيه على مِيه
- خلّيها تعدي
- كله زي بعضه
- ما تدوّرش، خلّيها ماشية
- المهم نخلّص
- مفيش وقت للكلام ده
- مين هيشوف ورانا؟
- كده كده محدش بيقدّر
- هو إحنا في امتحان ولا أيه؟

- إحنا بنقبض إيه؟
- دي مش قضيتنا
- أتعب ليه؟ مش مستاهلة
- ولو في عمل إداري مثلا، يقول: المهم الورق ... ستف الأوراق ويبقى تمام.

مرود خطير:

هذه العبارات وغيرها تكشف عن **خلل في الفهم**، وتسهم في **نشر روح الاستسهال**، **وتُضعف الإحساس بالأمانة والمسؤولية**، وتعكس **ثقافة التساهل والتراخي وغياب روح الإتقان والمسؤولية**، وتسهم في **إضاعة حقوق الناس وأموالهم وأوقاتهم**، **وفقدان الثقة في كثير من العمال**، **وسيادة مبدأ التعميم**، **وظلم المخلصين وهم كثيرون**، **وتقتل روح المسؤولية**، **وتغتال الإبداع**، **وتحاصر الأمانة**، **وتُشيع ثقافة الإهمال واللامبالاة**، **وتحبط أهل الإتقان**، **وتؤدي إلى فقدان البركة**.

هذه النظرة السلبية من بعض ضعاف القلوب منتشرة في بعض الأماكن لدى عدد من الناس وتتعارض مع هدي الإسلام وتُعدّ من أكبر المعوّقات أمام النهضة والتقدّم.

كل ذلك في وقتٍ نحتاج فيه إلى أن نوقن بأن:

"الإتقان فريضة، لا ترف... ومسؤولية، لا خيار... وعبادة، لا عادة".

ومن ثم يجب على المؤسسات المعنية (الدينية، والتربوية، والإعلامية، والثقافية، ...) أن تتعاون لاقتلا ع مثل هذه الأفكار الغريبة –عن ديننا وبلادنا وثقافتنا– من جذورها، وإزالة العشوائيات الفكرية والسلوكية التى عششت في عقول بعض الناس، وإشاعة قيم الإتقان والإبداع والتجويد في كل مكان.

الإتقان من جوهر الإيمان:

أيها المؤمنون:

اعلموا أن:

- الإتقان في العمل،
- والاهتمام به،
- والمحافظة عليه،
- والتميّز والبراعة فيه،
- وعدم البخل بتعليم الناس أسراره وخبراته...

من أهم المبادئ التى دعا إليها الإسلام الحنيف، بل هو من سمات المؤمنين الصادقين، وأساس نهضة الأوطان والأمم، ورفعة شأنها، واستقامة حياتها، وتحقيق قوتها وهيبتها.

فالإتقان هو المنهج الذي تقوم عليه الحضارات، وتُبنى به الأمم، ويدور عليه نظام الكون والحياة؛ فالحضارات لا تعيش، ولا تزدهر، إلا بمقدار مدى ديمومة الإتقان وسريانه في أوصالها وشرايينها.

وكان الأنبياء والمرسلون مضرب المثل في الإتقان والإحسان والتجويد، وقد سنّوا لنا أروع الأمثلة في ذلك، وسنذكر بعضها في السطور القادمة.

والإتقان من أهداف الدين الإسلامي الحنيف، وقد **أراد الله تعالى أن يعلّمنا الإتقان من خلال بديع خلقه**، فقد خلق كل شيء بإحكام وإعجاز. قال تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ) (النمل: ٨٨).

وتأملوا في الآيات التالية: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) (الغاشية: ١٧-٢١)، كلّها –وغيرها كثير– دلائل على دقة الخلق، وروعة الإتقان، وبديع الصنعة.

وقد أوجب الله علينا الإحسان، ونهى عن الإفساد أو الإهمال..

فقال تعالى: (... وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥)

وقال أيضًا: (... وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ٧٧).

فكل فعل، أو قولٍ، أو سلوكٍ، أو حال للمسلم، يحتاج إلى:

- ✓ الإخلاص،
- ✓ والإتقان،
- ✓ والمراقبة.

فعلى كل عامل أن يُتقن عمله، وعلى كل طبيب أن يُتقن عمله، وعلى كل معلّم أن يُتقن عمله... تعبّدًا لله، وتقربًا إليه جلّ في علاه.

ونحن نعلم يقينًا أن أعمالنا كلها مُسجّلة، بل إن الله يراها قبل أن نقوم بها، وأثناء قيامنا بها، وبعد أن ننتهي منها. قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...) (التوبة ١٠٥).

وهنا نتوقف ونتأمل ونتساءل: لماذا قال المولى سبحانه: (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ) ولم يقل "أعمالكم"؟

الإجابة: حتى لا يتوهم كائن مَن كان أن أن الله سيرى أعمالنا بوجه عام، كلا.. فإن كل ما يتعلق بكل عمل على حدة، مرصود بكل تفاصيله، وجزئياته المتناهية في الصغر، والصغيرة، والمتوسطة، والكبيرة، الظاهرة والباطنة، المعلومة والمجهولة...إلخ، يراها الله.. يعلمها الله بعلمه الشامل الكامل الدائم المحيط... ويحاسب عليها....

- ✓ فحيّ على الإتقان، والإحسان، والإبداع، والتجويد، والبراعة.
- ✓ حيّ على الإخلاص.
- ✓ حيّ على المراقبة لله رب العالمين.
- ✓ حيّ على المسؤولية الفردية، والمسؤولية الجماعية، والمسؤولية الكونية،
- ✓ من أجل حماية الإنسان، وبناء الأوطان، وعمارة الكون، وصلاح الحياة.

هذا هو الموجز، وإليكم التفصيل يا عباد الله...

فريضة الإتقان في الإسلام

عِبادةٌ عمليةٌ وبوابة الرُّقي والتقدم والازدهار

- إتقانُ العمل وتجويدُه، والبراعةُ فيه، والتوجّه إليه بقصدٍ صادق، والأخذُ بأسبابِه قدرَ الجهدِ والطاقةِ، فريضةٌ من فرائض المنهج الإسلامي، يقول النبي (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...) [٢]، وقال (ﷺ): (...فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا...) [٣].
- وإتقان العمل في الإسلام فريضة على المسلم، ذلك أن أي عمل يقوم به المسلم في الحياة الدنيا، مهما بدا صغيرًا أو قليلا أو هيّنًا، يُعدُّ عبادةً، يُعد عبادة وجهادًا إذا صحت فيه النية وكانت خالصة لله سبحانه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- إن الإتقانُ في العملِ ليسَ فضلًا يُنتظر من المسلم، بل هو فريضةٌ تُطلب، ومقامٌ يُسعى إليه (في عبادته ومعاشه)، وهو مما أمرَ به اللهُ (تعالى)، ودعا إليه رسولُه الكريم (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)[٤] كما أنَّ مَن يُتقن عملَه ويجوّده ويُحسِّنه سيَكونُ من المحبوبين عندَ الله (عزَّ وجلَّ) بدلالةِ مَنطوق الحديث الشريف[٥]، وأنَّ السبيلَ الأمثل لتقدُّمنا وازْدِهارنا وعلوِّ كَعْبنا ومِن ثمَّ حجز المكانة اللائقة بنا بين الأمم؛ يَكمنُ في أدائنا الحضاريّ المتميز، ولن يحدثَ ذلك إلا بتمثُّل منهج الله (تعالى)، ودستور الأخلاق النَّبوية، وأن نعيشَه، ونعايشه، ويعيشَ فينا على الدوام.

ويبقى الإتقان هو المعيارُ الحقيقيُّ بين المجتهد والمقصّر، ذلك لأن العبرة ليست في أداء العمل فحسب، بل في كيفيته، وإخلاص النية فيه، وبذل الوسع في إحكامه.

لقد قامت حضارتُنا الإسلامية الزاهرة المثمرة، البازغة الباذخة، وظللت جنبات الدنيا بعلومها وفنونها وخيراتها وخبراتها يومَ أن كان الإتقانُ فيها مبدأ ومنهجًا، فتسابقَ أهلُها في إحسانِ الصنعة، وجودةِ الأداء، وسموّ النية، فبلغوا بذلك مراتبَ سامية.. نعم لقد سادت حضارتُنا الإسلامية يوم أن جعل المسلمون من الإتقان شعارًا ومنهجًا؛ فأبدعوا في الصناعات –وقتذاك–، وتفننوا في العلوم، ونشروا الخير، وسادوا الدنيا بالحكمة والعلم والعمل.

فليكن إتقانُ العمل سمتَنا، وإحسانُ الأداء طريقتَنا ومنهاج حياتنا على الدوام.

اللّه يراك.. فليكن عملك دائما مُتقنًا

حين تستقر في قلبك هذه الحقيقة:

- أن الله (تعالى) يراك في كل لحظة،
- ويُطالع أعمالك،
- ويطّلع على نواياك وخفاياك..

حينها فقط، ستتغير نظرتك إلى كل أمر أو عمل تقوم به، وستبذل فيه غاية وُسعك، وتصبغَه بصبغة الإتقان؛ لأنه ليس مجرد أداء وظيفي أو واجب روتيني، بل عبادة تُرفع إلى الله، فإما أن تُقبَل برضا، أو تُردّ.

قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة ١٠٥)، فهذا الخطاب الإلهي الحازم لا يترك عذرًا لمتهاون ولا متكاسل، فالله لا يغيب عنه شيء، يرى جهدك، يسمع قولك، يطلع على نيتك، ويعلم مقدار إخلاصك، ويُجازيك على قدر إحسانك...

ففي هذه الآية دليل واضح على أن الله تعالى:

- يَعلمُ كلَّ أحوالِنا،
- يَرى سائرَ أعمالِنا،
- ويَسمعُ جميعَ أقوالِنا،
- وهو بصيرٌ بكلّ حركاتِنا،
- وعليمٌ بشتى سكناتِنا،
- مُطَّلِعٌ على سرائرنا وعلانياتِنا،
- عليمٌ بنيّاتِنا وتصرفاتِنا.
- يرانا في صلواتنا وخلاواتنا وجلاواتنا...

(٤) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(٥) راجع دراستنا: نحو إحياء قيمة العمل، منشور في العدد ١١٦٧ من صحيفة (الدعوة الإسلامية)، ليبيا، ١٣ مايو ٢٠٠٩م، ص ١٠

سبحانه سبحانه... لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء... اعلموا أيها الناس أن هناك عينا يقظة، وأن هناك عِلمًا محيطًا، وهو علم الله الشامل: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر: ١٩)، لا يغيبُ عن علمه شيءٌ مهما قلَّ أو صَغُر، يَعلمُ ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يراقبُنا في كلّ وقتٍ وحين، في الليل والنهار، في السرّ والإعلان...

وإذا كان الإتقان ليس أمرًا اختياريًّا، بل هو علامة المحبة الإلهية، ووسيلة لرفعة المسلم في الدنيا والآخرة؛ فيجب علينا أن نتقن أعمالنا غاية الإتقان؛ لأنه سبحانه، يُحب الإتقان والمحسنين، ويرانا ويجازي إحساننا وإتقاننا وتجويدنا، قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: ٦٠).

الغرس سُنة الحياة

نغرس ونرحل.. لكن يبقى الأثر

ونغرس فيأكل مَن بعدنا:

"ونغرس فيأكل مَن بعدنا" عبارةٌ عظيمة تُلخِّص مبدأً جليلًا من مبادئ الإسلام، وهو العمل للمستقبل، والبذل للأجيال القادمة، ونثر بذور الخير حتى لو لم نرَ ثمرتها، وهو قريب من المصطلح الحديث التنمية المستدامة، ولكن من منظور إسلامي.

فرق بين الزرع والبذر والغرس:

الزرع: هو العملية الكاملة التي تشمل نثر البذور أو غرس النباتات في الأرض، ورعايتها حتى تنمو وتُثمر، ويستخدم غالبًا للإشارة إلى العملية الزراعية الكاملة أو الناتج منها.

البذر: هو نثر البذور في الأرض، سواء يدويًّا أو بآلة، ويُركّز على البداية، أي وضع البذرة فقط.

الغرس: هو غرس الشتلات أو الفسائل أو الأشجار الصغيرة في الأرض.

ولقد غرس لنا أجدادنا وآباؤنا فأكلنا من ثمار غرسهم، واليوم نغرس لأجيالنا الحالية والقادمة، إنها سنة الحياة... فسلامٌ على مَن غرس، وسلامٌ على مَن يغرس، وسلامٌ على مَن سيغرس، ويواصل غرسَ كل خير إلى يوم القيامة...

اللّه يعلمنا الإتقان

بآياته الكونية وآياته التشريعية

إنَّ من أعظم دلائل كمال الله (تعالى) وجلاله، وإرادته، وقدرته، وحكمته أنه خَلَقَ الكونَ والحياة والإنسان بإتقان بديع، ونظام دقيق، يشهد بعظمته (جلَّ وعلا).

فما من **ذرة**، ولا **خلية**، ولا **مخلوق صغير أو كبير**، ولا **جبل** أو **حجر** أو **شجر** أو **مدر**، ولا **فضاء** أو **هواء**، ولا **سحاب** أو **كواكب** إلا وهي آية ناطقة بوحدانية الله (عز وجل) وإبداعه وإتقانه وإحكامه، مصداقًا لقوله تعالى: (...صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (النمل: ٨٨).

وفي السطور التالية نتأمل عددًا من مظاهر الإتقان الإلهي في خَلْق الإنسان، والكون، والحياة، ونبين كيف أن هذا الإتقان دعوة لنا إلى شكر الخالق، وإلى تعلم الإتقان في أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا وفي كل أمورنا...

أولًا: مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الكون

تأملوا هذا الكون العظيم الذي أبدعه الله (عزَّ وجلَّ)، فستجدون الإتقان يشعُّ في كل ذرة من ذراته:

- **نظم الله الأفلاك والكواكب والنجوم في مدارات دقيقة لا تختل ولا تصطدم**، فهي تسير في مداراتها بدقة لا تعرف اختلالًا، وسخر الليل والنهار، فجعل الكون متماسكًا متناسقًا بقدرته وعلمه قال الله تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٤٠).
- **رفع السماوات بغير عمد مرئية، في مشهد بديع يثير العقول والقلوب**، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) (الرعد: ٢).
- **الإحكام في القوى الكونية**: الجاذبية، والضغط الجوي، ودورة المياه، وتعاقب الليل والنهار، ودوران الأرض حول محورها، كلها تعمل في نظام متكامل دقيق يحفظ توازن الكون واستقرار الحياة على الأرض، ولو كان الكون إله آخر –حاشا لله–، لاختل وفسد واضطرب، قال تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الأنبياء: ٢٢).

ثانيا: مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الحياة

تنوع الكائنات الحية: من نباتات، وحيوانات، وطيور، وأسماك، وكائنات دقيقة، كل نوع مخلوق بدقة عجيبة تتناسب مع بيئته وأسلوب معيشته، كما قال الله تعالى: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات: ٤٩).

التكامل البيئي العجيب: النباتات تنتج الأكسجين الذي تحتاجه الكائنات الحية للتنفس، والحيوانات تنتج ثاني أكسيد الكربون الذي تحتاجه النباتات للبقاء، في دورة حياة متقنة تحفظ الاتزان البيئي.

التوازن في السلاسل الغذائية: كل مخلوق يعتمد على غيره بشكل دقيق ومحسوب ومدروس ، فلا إفراط ولا تفريط، مما يحفظ استمرار الحياة على الأرض.

إنَّ هذا التكامل المدهش شاهدٌ آخر على عظمة الخالق الذي أتقن كل شيء خلقه.

ثالثا: مظاهر إتقان الله تعالى في خلق الإنسان

تأملوا مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، من نطفة إلى علقة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة، حتى تكتمل الخِلقة بإعجاز لا يبلغه عقل بشر.

إن أعظم المخلوقات في الدلالة على إتقان الخالق العظيم (جلَّ وعلا) هو الإنسان نفسه، قال تعالى: (وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢١).

الإبداع في الخلق والتصوير: قال الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤).

الدقة المذهلة في وظائف الأعضاء: القلب ينبض بنظام محكم منتظم، المخ يدير أجهزة الجسم بذكاء معجز، الأجهزة الحيوية تعمل بتناغم بديع، فلا خلل ولا اضطراب.

نعمة العقل والقلب والنفس: ميز الله الإنسان بالعقل الذي يميز، والقلب الذي يفقه، والنفس التي تتفاعل مع المحيط، مما جعله خليفة الله في الأرض.

التنوع الجسدي والنفسي بين البشر مع وحدة الأصل، تحقيقًا لحكمة التعارف والتعاون، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣).

أثر التأمل في إتقان الله على سلوك الإنسان:

إنَّ تأمل مظاهر الإتقان في الكون والحياة والإنسان يثمر في القلب عدة معانٍ عظيمة:

- ✓ **تعميق الإيمان بالله**، إذ لا يمكن لعاقل أن يرى هذا الإتقان العجيب ثم لا يؤمن بعظمة الخالق.
- ✓ **شكر الله (عزّ وجلّ) على النعم التي أنعم بها علينا**، والتي لو عددناها ما أحصيناها.

✓ **التواضع أمام عظمة الله، فلا يغتر الإنسان بنفسه**، بل يشعر بضعفه وافتقاره إلى خالقه.
✓ **الإتقان في الأعمال**، لأن الله يحب من عباده المتقنين، كما قال رسول الله (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(٦).

عباد الله:

إن كلَّ ذرةٍ في هذا الكون الفسيح، وكل نبضة في قلب الإنسان، وكل قطرة ماء تسقط من السماء، وكل حركة للهواء، وكل موجة في البحار، وكل ورقة في الأشجار... إلخ، كلها تنطق بالإتقان، وتنادي: لا إله إلا الله.

قال تعالى: (...فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون: ١٤). فلنتأمل صنع الله، ولنحمده على نعمه، ولنسعَ إلى أن نتقن أعمالنا ونحسن عباداتنا، فإنه لا يليق بمن خلقه الله في أحسن تقويم أن يكون مهملًا أو متكاسلًا.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتقنين، المتفكرين في آياته، الشاكرين لأنعمه، العاملين بما يرضيه الذين يحبهم الله ويرضى عنهم.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله..يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد..

قيمة العمل في الإسلام

ورد لفظ العمل في القرآن الكريم كثيرا.. وهذا يدل على مدى عناية القرآن الكريم بالعمل وأن يكون الإنسان في عمل دائم سواء الأعمال التعبدية أو الحياتية، ولم يقتصر الأمر على الكم فقط، وإنما ركز على الكيف حيث نجد أن لفظ العمل موصوفاً بالعمل الصالح ومقترناً بالإيمان والإحسان كثيرا أيضا.

وهكذا ينظر الإسلام إلى العمل باعتباره قيمة أساسية من القيم التى بُنى عليها هذا الدين الحنيف، وجعل العبادة والعمل وجهين لعملة واحدة، ومن ثم فلا يكمل إيمان المرء إلا بامتزاج العمل مع العبادة في بوتقة توازنية، تراعى متطلبات الإنسان الدينية والدنيوية..

ظهر ذلك جليا في النصوص الدينية التى أسست لهذه القيمة تأسيسا أبهر الدنيا كلها، وطبق روحها غير المسلمين، وللأسف الشديد كان تطبيق المسلمين لهذه القواعد محدودا، ومن ثم صدق قول القائل: "في الغرب الإسلام العملى، وفي بلاد المسلمين الإسلام النظري".

والعمل يطلق على كل ما يشمل عمل الدنيا والآخرة.

فعمل الآخرة: يشمل طاعة الله وعبادته والتقرب إليه.

أما عمل الدنيا: فيطلق على كل سعى دنيوي مشروع، ويشمل ذلك العمل اليدوي والحرف والصناعة والزراعة والصيد والتجارة والرعى والتعليم والطب والهندسة وغير ذلك من الأعمال.

والناظر في النصوص الدينية قرآنا وسنة قولية وعملية يلاحظ اهتمام الإسلام بالعمل، من خلال مبدأين مهمين:

الأول: أنه جعل العمل أساس الكسب، وأنه على المسلم أن يمشي في مناكب الأرض، ويبتغى من فضل الله، يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥) ويقول (ﷺ): (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ له مِن أنْ يَسْأَلَ أحَدًا، فيُعْطِيَهُ أوْ يَمْنَعَهُ)(٧).

(٦) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير
(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وتأكيد على هذا المبدأ جعل النبى عليه السلام من يخرج ليعمل ويكسب من الحلال؛ فيعف نفسه أو ينفق على أهله، كمن يجاهد في سبيل الله.

ولقد مرَّ على النَّبيّ (ﷺ) رجلٌ فرأى أصحابُ رسولِ اللهِ (ﷺ) من جلَدِه ونشاطِه فقالوا يا رسولَ اللهِ ! لو كان هذا في سبيلِ اللهِ فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): (إن كان خرج يسعَى على ولدِه صِغارًا فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعَى على أبوَيْن شيخَيْن كبيرَيْن فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعَى على نفسِه يعفُّها فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعَى رياءً ومُفاخَرةً فهو في سبيلِ الشَّيطانِ) (٨).

المبدأ الثاني: أن الأصل في سؤال الناس هو الحرمة، وقد حذَّر النبى (ﷺ) من المسألة، وبالغ في النهى عنها والتنفير منها، فقال (ﷺ): (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بمَن تَعُولُ، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عن ظَهْرِ غِنًى، ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ) (٩).

إن المجتمعات المتقدمة ما تقدمت إلا بالعمل الدؤوب.. فالكل يعمل ويجد ويجتهد ويتقن عمله، والطفل ينشأ في بيئة كلها عمل ونشاط وإبداع، فينشا على هذه القيمة وقد ترسخت في وجدانه.

وقيل: إن شعبا كالشعب الياباني مثلا إذا أراد أن يُبدى اعتراضا على أداء حكومته، فإنه يعمل ويزيد ساعات العمل؛ حتى يزيد الإنتاج ومن ثم تعجز الحكومة هناك عن توفير أماكن لتخزين المنتجات الجديدة في بلد يعاني أساسا ضيق مساحته.. فترضخ الحكومة عندئذ لمطالب الشعب..!!.

الجودة قيمة إسلامية ومطلب إيماني

الجودة قيمة من قيم الإسلام، فهى ترتكز على الإتقان والإبداع والقوة والأمانة والتميز والإحسان في أسمى معانيه ومبانيه ومراميه.

وقد لا أكون مبالغاً إذا قلت إن الإسلام – عقيدةً وشريعة وأخلاقاً – وكفلسفةٍ للكون والإنسان والحياة، هو كمال الجودة وتمامها..

وكيف لا يكون الإسلام كمال الجودة والإبداع وهو دين الله (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(البقرة:١١٧).

إن الإبداع البشري هو أثر ومظهر من آثار الإبداع الربانى ومظاهره.. بل إنه وظيفة تكليفية ومسؤولية شرعية وليس خياراً بشرياً قبله الإنسان أو رفضه

وإذا كانت الجودة مظهر من مظاهر الإحسان ونتيجة من نتائجه.. لذلك فإن الإسلام دعوةٌ مطلقة إلى الإحسان:

وفي قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك: ٢). إشارة واضحة إلى أن الجزاء يتعلق بكيفية الأداء كائناً ما كان هذا الأداء..

إن شكر الله على إبداع خلقه، يفرض على الإنسان أن يكون محسناً مبدعاً في عمله وصنعته ومهنته

إذن فمن البديهى أن يدعو المبدع جل وعلا إلى الإبداع وأن يحثَّ المحسن سبحانه إلى الإحسان.. وهذا شأن منهج الله في دعوته الإنسان إلى الجودة والإبداع والإحسان.. وصدق الله تعالى حيث يقول: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ) (النساء: ١٢٥)، حتى في مجال الكلام ومخاطبة الناس وهو أيضا من الأعمال أمرنا الله تعالى بتجويده، يقول تعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة: ٨٣) .

وفي الخطاب النبوي دعوة واضحة بينة إلى الجودة والإتقان والإبداع والإحسان..

---

(٨) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب – رجاله رجال الصحيح، واخرجه الطبراني بلفظه.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

مثال ذلك في قوله (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ) (١٠).

إن شمولية المنهج الإسلامى وتغطيته لكل جوانب الحياة توكبها دعوة إلى الجودة والإتقان على نفس الامتداد والاتساع.. وبذلك يكون الإسلام هو منهج الجودة والإتقان في عموميات الحياة وفروعها وتفاصيلها..

ويجب أن نعترف نحن المسلمين أننا على جانب كبير من التقصير في الأخذ بأسباب الإتقان والجودة في كل جوانب عملنا.. فالمسلمون مطالبون بأن يحتكموا إلى موازين ومقاييس ومعايير الجودة التى لفت إليها، وأشار إليها، وحددها، وأوجبها، وحث عليها الدين الإسلامى الحنيف

نحن مطالبون بأن نتقن عبادتنا وأخلاقنا وأعمالنا ونجودها، وأن نحسن في أقوالنا وأفعالنا وخطابنا وأدائنا، وأن نتميز في مواقفنا وفي علاقاتنا.. وأن نتطور في تخطيطنا وتنظيمنا وإدارتنا، وأن نتقدم في إنتاجنا وعطائنا.

إن الإتقان والتقدم والتطور الذي يؤدي إلى الجودة يحتاج إلى التأهيل والتدريب كما يحتاج إلى العلم والخبرة. وبلوغ القمةِ يحتاج إلى الهمةِ كما يحتاج إلى الثقة والإيمان والإرادة. ويوم أن فعل المسلمون ذلك صنعوا حضارة عالمية زاهرة استفاد منها الشرق قبل الغرب..

النبي يرسخ قيمة العمل المتقن:

ورد أنَّ رجلًا من الأنصار أتَى النَّبيَّ (ﷺ) فسأله فقال أما في بيتِك شيءٌ قال بلى حِلسٌ نلبسُ بعضَه ونبسطُ بعضَه وقعبٌ نشربُ فيه من الماءِ.

قال ائتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسولُ اللهِ (ﷺ) بيدِه وقال من يشتري هذَيْن؟

قال رجلٌ أنا آخذُهما بدرهم.

قال رسولُ اللهِ (ﷺ) من يزيدُ على درهم مرَّتَيْن أو ثلاثةً؟

قال رجلٌ أنا آخذُهما بدرهَمَيْن فأعطاهما إيَّاه، وأخذ الدِّرهَمَيْن فأعطاهما الأنصاريَّ، وقال اشتر بأحدِهما طعامًا فانبُذْه إلى أهلِك واشتر بالآخرِ قَدومًا فائتنى به.

فأتاه به فشدَّ فيه رسولُ اللهِ (ﷺ) عودًا بيدِه ثمَّ قال اذهبْ فاحتطبْ وبعْ ولا أرينَّك خمسةَ عشرَ يومًا، ففعل فجاء وقد أصاب عشرةَ دراهمَ، فاشترَى ببعضِها ثوبًا وببعضِها طعامًا فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): (هذا خيرٌ لك من أن تجيءَ المسألةُ نُكْتَةً (أي علامة) في وجهك يومَ القيامةِ إنَّ المسألةَ لا تصلُحُ إلَّا لثلاثٍ لذي فقر مُدقِع(أي شديد)، أو لذي غُرمٍ مُفظِع (أي كبير)، أو لذي دمٍ مُوجِع) (١١) (أي عليه دية).

ومن هنا نلاحظ أن النبى (ﷺ) أراد أن يعالج مشكلة هذا الرجل ومن على شاكلته علاجا جذريا نهائيا يكفل له ديمومة الرزق، تطبيقا لنصوص الشريعة الإسلامية الخالدة الداعية إلى العمل واتقانه وتجويده، واتكاءً على نعمة الصحة والقوة والأعضاء التى أعطاه الله إياه، وتعميرا للأرض التى استخلفه الله عز وجل فيها، وتحصيلا لمكنونات الله ونعمه وكنوزه التى استودعها الله سبحانه وتعالى فيها للإنسان، واكتسابا للمال الحلال الذي ينفق منه الإنسان على نفسه وأهله، ويسهم به في مشروعات الخير لأمته، ومن هذا المال يؤدي فرائض الله؛ ويؤدي ما عليه من واجبات والتزامات سواء أكانت دينية أم دينوية..

وقد صنع (ﷺ) يد القدوم بنفسه ليشير إلى ضرورة التواضع حيال العمل، وأنه لا غضاضة في هذا العمل ولا في غيره، طالما أنه من الأعمال الحلال ولكى يعلمه أيضا أيضا مبادئ الجودة والاتقان والإحسان.

الجودة والاتقان فى التجارة:

- قوله (ﷺ): (التَّاجرُ الصَّدوقُ الأمينُ مع النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ) (١٢).

---

(١٠) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير

(١١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب– خلاصة حكم المحدث: لا ينزل عن درجة الحسن وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما.

(١٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب– إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

• وقوله (ﷺ): (البيِّعانِ بالخيار ما لم يفترقَا، فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعِهما، وإن كتَما وكذَبا مُحقَتِ البركةُ من بيعِهما) (١٣).

• يقول (ﷺ): (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إذا با عَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى) (١٤).

إحياء قيمة العمل في مجتمعاتنا المسلمة:

وازن الإسلام موازنة دقيقة بين العبادة وبين العمل، من خلال نصوصه ومبادئه الخالدة: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبد، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"، ولنا أن نتأمل روعة السياق القرآني المعجز، وهو يأمر المسلمين بالإسراع في تلبية نداء الله لذكر الله وصلاة الجمعة، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة٩) حيث عبر الله سبحانه وتعالى بالفاء في قوله: (فَاسْعَوْا) التي تفيد الترتيب والتعقيب، أي تفيد وجوب الإسراع في التلبية للذكر وللصلاة والعبادة.. ونتأمل السياق المعجز في قوله: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)(الجمعة: ١٠). حيث عبر بالفاء أيضا في قوله: (فَانتَشِرُوا) التي تفيد أيضا الترتيب والتعقيب والإسراع، وكأن الله عز وجل يريد أن يؤكد لنا على ضرورة الإسراع إلى العمل، ويلفت أنظارنا إلى أن الانتشار السريع في الأرض لطلب الرزق بعد أداء صلاة الجمعة لا يقل أهمية عن السعي إلى صلاة الجمعة.. وقوله عز وجل (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) (الإسراء ١٢) .

والناظر في المنهج الإسلامي في ترسيخ قيمة العمل في نفوس المسلمين، يلاحظ العظمة في إصرار الإسلام على القضاء على الكسل والدعة والتواكل، والدفع بأتباعه قدما نحو العمل الجيد والمتقن وعدم التوقف عنه مهما كانت الظروف والأحوال، يقول (ﷺ): (إنْ قامَتِ السَّاعةُ وبيَدِ أحَدِكُم فَسيلةٌ، فإنِ استَطاعَ ألَّا يقومَ حتى يَغرسَها فلْيَفْعَلْ) (١٥). فيا لعظمة هذا الدين !! ويا لعظمة هذا النبي (ﷺ) !!.. القيامة تقوم ومن بيده فسيلة – أي شتلة– من المسلمين مأمورٌ بغرسها، كل ذلك لتكريس العمل الدائب المتواصل في نفوس المسلمين..!!.

كما وجهنا ديننا الخاتم إلى جودة العمل وإتقانه، والبراعة فيه، والإبداع فيه، بل جعل الإسلام من يجود عمله ويتقنه من المحبوبين عند الله عز وجل يقول (ﷺ): (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ)(١٦).

وعلمنا ديننا أيضا أن من غرس غرسا أو زرع زرعا، فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو حتى سبع فهو له صدقة. وقياسا عليه فإن أي عمل نافع، يعمله المسلم واستفاد منه إنسان أو حيوان أو طائر أو غيره، كان له الأجر الكبير من الله سبحانه وتعالى.. وإن المسلم ليسأل عن وقته وعن ماله كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن عُمُرِه؛ فيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِه؛ فيم فعَلَ فيه؟ وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيم أنفَقَه؟ وعن جِسمِه؛ فيمَ أبلاه؟) (١٧).

بل إن الرسول (ﷺ) حذر من يترك العمل اكتفاء بما لديه من مال.

تنظيم الإسلام العلاقة بين العامل وبين صاحب العمل:

نظم الإسلام العلاقة بين العامل وبين صاحب العمل تنظيما أبهر رجال المال والأعمال والاقتصاد والإدارة في العالم، حيث جعل للعامل حقوقا على صاحب العمل، وجعل على العامل واجبات لرب العمل. فحقوق العامل تتمثل في الحقوق المادية ومن ذلك حقه في الحصول على أجر مناسب، وعدم التأخير في إعطائه أجره.

(١٣) أخرجه الإمامان: البخاري ومسلم، وأبو داود في سننه .
(١٤) أخرجه الإمان البخاري في صحيحه.
(١٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده
(١٦) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير
(١٧) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

أما الحقوق البدنية فتتمثل في عدم تكليفه بعمل لا يقدر عليه، فالله سبحانه وتعالى لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وعدم الضغط عليه وعلى قدراته، وتوفير الوسائل المساعدة له من آلات ومعدات وغيرها، وله الحق في الراحة والرعاية الطبية.. وغيرها، أما الحقوق الاجتماعية فتتمثل في مشاركته في أفراحه وأتراحه، ومساعدته ومساعدة من يعول بالمساعدات المادية والعينية والمعنوية..

وإذا كان للعامل هذه الحقوق فإن عليه واجبات والتزامات من أهمها: أن يأتي إلى العمل مبكرا، ويحافظ على كل لحظة من لحظات العمل من لحظه حضوره إلى لحظة انصرافه؛ لأن هذا الوقت أمانة في عنقه وسيسأل عنه يوم القيامة، ويجب عليه أن يكون أمينا مع صاحب العمل في كل شيء، ومتقنا لعمله ومتميزا فيه ومجودا له ويعمل دائما على تطوير أداءه ومهاراته ومستواه، كما يجب عليه أن يحفظ أسرار العمل ولا يبدها لأحد إلا بإذن صاحب العمل، كما يجب عليه طاعته فيما لا يغضب الله، وأيضا تقديم المشورة والنصح له لأن الدين النصيحة..

فلابد إذن من وجود علاقة عادلة ومتوازنة بين أصحاب العمل والعمال حرصاً على استقرار العمل ودفعاً للإنتاج، فالعامل لن يعمل بإخلاص ويتفانى في عمله ويجود إنتاجه إلا إذا كان راضياً قانعاً واثقاً أنه سيحصل على حقوقه بعد أن يؤدي واجباته.ومن هنا فلابد من توفير ةلجع عفد يف مهسى لمعلا باحصأو لامعلل نمآ خانم ةيداصتقالا فادهألا قيقحتو جاتنإلا

العمل الجيد أهم ركيزة في الاقتصاد، وتظهر هذه الأهمية أيضاً على المستوى المؤسسى، ذلك أن نجاح أي مؤسسة مرهون بكفاءة العمل فيها.

إن ما يفرق بين الدول من حيث التقدم والتخلف الاقتصادي ليس هو الموارد المتوفرة لديها، بل كفاءة العاملين بها.. والإنسان هو الإنسان في العالم كله لديه طاقات كامنة، ونظم العمل وقوانينه في العالم كله متشابهة إلى حد كبير، فهى تصاغ وفق معايير وضعتها منظمة العمل الدولية، ومع كل ذلك نجد الدول تتفاوت فيما بينها من التقدم والتخلف الاقتصادي وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى غياب أو تغييب القيم الإيجابية التى يمكنها تفجير الطاقات الإنسانية الكامنة.

كيف ينظر الإسلام إلى الأعمال الحرفية والمهنية؟

اشتغل الأنبياء والمرسلون عليهم السلام –وهم صفوة خلق الله– بالأعمال اليدوية والحرفية، ولم يزدهم هذا العمل إلا عز وفخرا وقربا من الله تعالى، حيث اشتغل سيدنا آدم بالزراعة، واشتغل نوح بالنجارة، وقد أمره الله بصنع السفينة ليركب فيها هو ومن آمن معه. وكان سيدنا إبراهيم يعمل تاجرا، واشتغل يعقوب وإسحاق وشعيب وموسى عليهم السلام برعى الغنم. وعمل إلياس نساجا، وكان سيدنا إدريس خياطًا، فكان يعمل بالخياطة، ولسانه لا يكفُّ عن ذكر الله؛ فلا يغرز إبرة ولا يرفعها إلا سبح الله؛ فيصبح ويمسى وليس على وجه الأرض أحد أفضل منه، وسيدنا داود مع أنه كان ملكا إلا أنه كان يأكل من عمل يده.. لقد كان داود عليه السلام يخرج متنكرا فيسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته، فتعرض له جبريل عليه السلام في صورة آدمى، فقال له داود عليه السلام: يا فتى ما تقول في داود؟ فقال: نِعم العبد هو غير أن فيه خصلة.

قال: وما هى؟ قال: يأكل من بيت المال وما في العباد أحب إلى اللَّه من عبد يأكل من كدّ يده. فعاد إلى محرابه باكيا متضرعا يقول: يا رب علمنى صنعة أعملها بيدي تغنينى بها عن بيت المال.

فعلمه اللَّه تعالى صنعة الدروع وألان له الحديد حتى كان في يده بمنزلة العجين، وكان إذا فرغ من القضاء وحوائج أهله صنع درعاً فباعها وعاش هو وعياله من ثمنها وفي ذلك يقول الله تعالى (وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ)، (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوس لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) يعنى لتحفظكم من حربكم.

وعمل سيدنا محمد (ﷺ) برعى الغنم في صغره، ثم عمل في شبابه بالتجارة. هذا على مستوى الأنبياء. أما الصحابة الكرام –وهم صفوة الأمة الإسلامية– فقد عملوا أيضا بالحرف اليدوية، حيث عمل أبو بكر الصديق

بتجارة الأقمشة، وعمل عثمان بن عفان بالتجارة، وعمل الزبير بن العوام خياطا، واشتغل سعد بن أبي وقاص نبالاً أي يصنع النبال، وعمرو بن العاص كان جزارا.. وهكذا فكلها مهن شريفة، ولو كان فيها ما يخدش الشرف أو الكرامة، ما عمل بها هؤلاء الأكرمون..

وبعد.. فهل هذه الأعمال عيبا؟ وهل فيها ما يخدش الشرف والسمعة؟ وهل هذه الأعمال مفيدة للمجتمع وسبيل لتقدمه أم لا؟ ولماذا تصر وسائل الإعلام في بلادنا على إظهارها بصورة دونية منفرة؟ ومن المستفيد الحقيقى من ذلك؟!

وعلى الرغم من أن هذه الأعمال هى الكفيلة بحل أزماتنا المجتمعية، وتحقيق التقدم والرفاهية للمجتمع، وبالرغم من أن الإسلام ينظر إلى هذه المهن نظرة تقدير واحترام

إن العمل الفنى واليدوي والحرفي كان ومازال المرتكز الأساس في بناء التقدم والنهضة في البلدان المتقدمة، لذلك فإنها يهتمون بالتعليم الفنى، وتنميته وتطويره بصورة دائبة، لضمان ديمومة التقدم والازدهار في بلادهم.. فهل نفيق من نومنا، ومتى نستيقظ من سباتنا ؟!

كيف تربي النشء على قيم الاتقان؟

لابد من العمل الجدي لترسيخ هذه المبادئ التى أشرنا إليها في نفوس أولادنا وشبابنا، من خلال تضمين هذه المبادئ في المناهج الدراسية، وإبرازها من خلال القدوة العملية، ومن خلال وسائل الإعلام في القوالب الإعلامية المختلفة، خصوصا القالب الدرامى الذي يتميز بالإقبال الشديد عليه وتأثيره الكبير على المتلقى، وتكثيف الزيارات المدرسية لبيئات العمل بحيث ينشأ أطفالنا على حب العمل والإنتاج، ولابد من الاهتمام بالتربية العملية والتدريب العملى –الحقيقى وليس الصوري – في شتى المجالات، كما أن على المؤسسات الدينية والجامعات دورا كبيرا في إحياء قيمة العمل، ومحاربة الكسل والدعة والتواكل من نفوس الشباب، وعمل حملة منظمة لحصر شتى المواد والمضامين الإعلامية التى تقلل من شأن المهن والحرف اليدوية وتحقرها أو تحتقر من يعمل فيها، واستبدالها بما يحفز الشباب نحو هذه الأعمال، وتوجيه التعليم نحو التعليم الفنى والمهنى الذي قامت عليه نهضة الأمم والمجتمعات المتقدمة والاهتمام به وحل مشكلاته والقضاء على كل العقبات التى تقف حجر عثرة في طريقه، مع إبراز أن هذه المهن والحرف اليدوية قد اشتغل بها الأنبياء وهم صفوة خلق الله.. ولابد لنا نحن المسلمين أن نبرز هذه المبادئ وكنوز التشريع الإلهى الخالد للعالم كله، كما يجب على الشباب المسلم في البلاد غير الإسلامية أن يطبق المبادئ السالفة، وينتهج العمل منهاجا لحياته حتى ينهض بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويوضح لهذا المجتمع بطريقة عملية أن دينه العالمى الخالد كفيل بالإصلاح.. كل الإصلاح على شتى المستويات..

متى يكون الإنسان محمود السيرة في الأرض في السماء؟

يكون الإنسان محمود السيرة (في الأرض وفي السماء) بإتقانه وإحسانه وبراعته وتجويده، من خلال:

١. **إتقان العمل**: أن يؤدي كل عمل يقوم به على أكمل وجه، بإخلاص وجودة، مستشعرًا مراقبة الله.

٢. **إتقان الأخلاق**: أن يتحلى بالصدق، والأمانة، والوفاء، وحسن الظن بالناس، والحياء، وسعة الصدر، فيصبح حسن المعاملة محبوبًا بين الناس.

٣. **إتقان العبادة**: أن يؤدي العبادات بإخلاص وخشوع، مع إحسان الظن بالله تعالى، ومراعاة آداب العبادة وظروفها.

٤. **إتقان التعامل مع الناس**: بالتواضع، والرحمة، ولين الجانب، والعدل، والإنصاف، واحترام الكبير والعطف على الصغير.

٥. **إتقان ضبط النفس**: بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، وكظم الغيظ، ومجاهدة النفس على الخير.

٦. **التطوير المستدام**: لا يكتفي بما بلغ، بل يسعى دائمًا لتحسين نفسه، ويتقبل النصيحة، ويتعلم من أخطائه.

فبمجموع هذه الإتقانات، تطيب سيرة الإنسان في الدنيا، ويُثنى عليه في حياته وبعد وفاته، ويُرجى له الفوز في الآخرة، كما قال الله تعالى: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء: ٨٤).

كل مهنة في الدنيا تحمل بداخلها شرف الغرس والإتقان:

- الطبيب يغرس الحياة.
- الفلاح يغرس الخير.
- المعلم يغرس العلم.
- العامل يغرس الحضارة.
- التاجر يغرس الثقة.
- الأب والأم يغرسان الأخلاق والقيم في قلوب أبنائهم.

فليكن شعارنا جميعا:

"ونغرس فيأكل من بعدنا، ونتقن ليبارك الله لنا في غرسنا."

اللهم اجعلنا من عبادك المتقنين لأعمالهم، المحسنين لعباداتهم، الشاكرين لأنعمك، المتفكرين في آياتك.

اللهم زدنا لك خشية، ولك محبة، وعليك توكلًا، وإليك إنابة.

اللهم لك الحمد على نعمك الظاهرة والباطنة.

اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك طائعين، لك مخلصين، وإليك منيبين.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللَّهُمَّ أَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَى مِصْرَ وَأَهْلِهَا وَافْتَحْ لَنَا البَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض وَبَارِكْ فِي مِصْرَ وَرجَالِهَا وشَعْبِهَا وَجَيْشِهَا...

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد https:www.facebook.comdrahmedalisoliman